منزلة الشهيد

٢٦ من ذي الحجة ١٤٣٦هـ الموافق ٩ من أكتوبر ٢٠١٥م

أولاً : العناصر:

١- فضل الشهادة وثوابها .

٢- مكانة الشهيد ومنزلته عند الله (عز وجل).

٣- الشهادة في سبيل الوطن والذود عن حياضه من أعلى درجات الشهادة .

٤- ثمرات الشهادة في سبيل الله (عز وجل).

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- يقول الله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ}[البقرة:١٥٤]

٢- ويقول تعالى :{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[آل عمران: ١٦٩– ١٧٠] .

٣- ويقول تعالى:{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}[النساء:٧٨].

٤- ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [التوبة: ١١١].

٥- ويقول تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[محمد :٧] .

٦- ويقول تعالى: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ *إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[الصافات : ١٧١،١٧٣] .

٧- ويقول تعالى:{كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة٢٤٩].

الأدلة من السنة :

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ؛ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوَدِدتُّ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ » [أخرَّجه مسلمٌ] .

٢- وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا (مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول) فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ " قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران: ١٦٩]. (رواه الترمذي).

٣- وعن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، ومن قُتل دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ".(مسند أحمد).

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ " (سنن الترمذي).

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ ». [متفق عليه] .

٦- وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِه» [سنن الترمذي].

ثالثا: الموضوع:

تحتفل أمتنا المصرية ـ حفظها الله ـ في هذه الأيام بذكرى من أعظم الذكريات الخالدة في تاريخها ، بيوم من أيام الله – عز وجل – الذي امتن فيه ربنا عليها بالنصر على أعداء الأمة الذين عثوا في الأرض فسادًا ، تحتفل بذكرى انتصارات السادس من أكتوبر – العاشر من رمضان– ، هذه الملحمة الكبرى التي سطرت فيها الجندية المصرية معاني البطولة والفداء والتضحية بكل ما تملك ، وتجلى فيها معدن الجندي المصري الأصيل بإيمانه بالله – عز وجل – وثقته في نصر الله تعالى له، وصدقه مع نفسه ، وقوة عزيمته وإرادته في تحقيق هدفه ومراده.

وحين تكون الأهداف سامية ، والمقاصد شريفة ، والغايات نبيلة؛ فإن التضحيات لا بد أن تكون غالية ونفيسة ، وليس أغلى ولا أنفَسَ ولا أجَلَّ من التضحية بالنفس طلباً للشهادة في سبيل الله تعالى ، فيبذل المرء روحه دفاعا عن دينه ، وأرضه ، وعِرضه ، وذودًا عن حِياض وطنه لينال أعلى مقام بعد مقام النبوة وهو مقام الشهادة .

إن مقام الشهادة اصطفاء من الله واجتباء ومنحة ربانية وهبة إلهية يمتن الله – عز وجل – بها لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين ، يقول تعالى :{وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}[النساء: ٦٩]. فإن اختيار الله سبحانه لإنسان ما ليكون شهيداً دليلٌ على رضا الله – عز وجل– عنه ، وأي درجة أسمى من هذه الدرجة ، وقد ألمح القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}[آل عمران:١٤٠]. كيف لا ؟ والشهيد هانت عليه الدنيا بكل ما فيها من نعيم واشترى ما عند الله – عز وجل– ، كيف لا ؟ والشهيد قد استعلى وانتصر على شهواته و رغباته ، واسترخص الحياة في نيل شرف الشهادة ؟ كيف لا ؟ والشهيد لم يخف من ألم القتل وحب الحياة ومفارقة الأحبة ، وخاض غمار المعارك فداء للدين وللوطن .

فهنيئا للشهيد بهذه الصفقة المباركة ، وربح بيعه حين عقد مع رب البرية تلك الصفقة مضمونةُ الربح بمجرد الوفاء منه ببذل النفس ، والوعد الحق من الله (عز وجل) جزاء ذلك هو الجنة ، يقول سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ }[التوبة: ١١١]. فيا لها من صفقة المشتري فيها هو قيوم السموات والأرض جل جلاله ، والبائع عبد من عباد الله يرجو رحمته ويخشى عذابه يطمع في ثوابه وكرمه ، والسلعة الجنة ، بل إنها جنان في الجنة ، فقد روي أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ – أي لا يعرف له رامٍ– فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ ، قَالَ :" يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى" (رواه البخاري).

والشهيد الحق : هو الذي يعمل على مرضاة ربه بفهم ووعي مجردين من الأهواء والمصالح الشخصية ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ » (سنن ابن ماجه) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– أيضًا– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ "(سنن الترمذي) .

فالشهيد لا يرضى الدنية بكل صورها ، ويرفض المذلة والهوان ، ويقاوم كل من يحاول أن يعتدي على ماله أو متاعه ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالي؟ قَالَ: « فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ :« قَاتِلْهُ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ :« فَأَنْتَ شَهِيدٌ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ : « فَهُوَ فِي النَّارِ » (رواه مسلم).

الشهيد : هو الذي يدافع عن أرضه وعرضه ووطنه ، فليس الوطن والعرض عند المسلم الحق أقل خطراً ولا أقل مكانة من نفسه ودينه وماله ومتاعه ، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :« مَنْ أُصِيبَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ أُصِيبَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ أُصِيبَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » (رواه أبو داوود).

ومن ثمَّ فيقترن معنى الشهادة بتضحية المرء بنفسه في سبيل الله ، في كل موقف يتطلب فيه الدفاع عن الدين لإعلاء كلمة الله تعالى ، وعن الأرض لصيانتها وردّ العدوان عنها ، لأن حب الوطن من الإيمان. فهنيئا لشهداء ملحمة العبور الخالدة ، أولئك الذين ارتوت بدمائهم الزكية أرضُ مصرَ الطاهرة ، فارتفعت أرواحهم إلى الله –عز وجل– وفازوا برضوانه ، والنعيم الذي وعدهم الله تعالى به ، ونسأل الله أن يكتب لنا الشهادة في سبيله دفاعاً عن الدين، وذوداً عن الوطن والأرض والعرض.

قد يظن البعض أن الشهادة في سبيل الله عز وجل فيها خسارة وهدم يصيب بنيان الأمة، وهذا اعتقاد فاسد ، إذ أن الشهيد حين ينال شرف الشهادة في سبيل الله عز وجل يُحيي في الأمة روح الكرامة والمروءة ؛ للثأر من قاتليه والأخذ على يد كل ظالم ، وهو نفس الفكر الذي ردده المنافقون يوم أحد حين قالوا بلسان الشماتة من المسلمين: { لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا } [آل عمران : ١٥٦] وقولهم: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران : ١٦٨] فرد الله عز وجل عليهم بقوله: { قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران : ١٦٨].

فالشهادة في سبيل الله عز وجل درجة عالية راقية يرفع الله إليها من يختار من عباده ، للمحافظة على عزة الأمة وكرامتها ، وصون حرماتها ومكانتها بين الأمم.

أما عن ثمرات الشهادة في سبيل الله – عز وجل – ، فلقد أعد الله – عز وجل – للشهداء من الفضل والكرامة مالا يُعد ولا يُحصى ، **من ذلك : تخفيف الله للألم الذي يجده الشهيد ساعة**

قتله واستشهاده ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ أَلَمِ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ أَلَمِ الْقَرْصَةِ » (رواه الترمذي).

ومن هذا الفضل : ما أخبر الله – تعالى– به في كتابه الكريم **أن الشهداء أحياءٌ عند ربهم يرزقون** ، يقول تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ}[البقرة:١٥٤]، ويقول أيضًا : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران: ١٦٩- ١٧٠- ١٧١]. نعم إنهم أحياء وليسوا أمواتًا، إنهم يُرزَقون، ورزقُهم من الله الذي جعل أرواحَهم في جوف طير خضر لها قناديلُ معلقةٌ بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، ومن ثَمَّ فهم فرِحُون بما أَعطاهم الله؛ حيث جنَّة الخلد التي فيها ما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطَر على قلب بشَر، ويستَبشِرون بإخوانهم القادِمين عليهم؛ وذلك لحبِّهم إنزالَهم هذه المنزلة التي أنزَلَهم الله إياها، فلا حُزن، ولا غم ولا هم، بل استِبشارٌ، وفضلٌ، ونعيم.

جاء في سبب نزول هذه الآيات عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :« لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ ، قَالَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ ، قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ– (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) إِلَى آخِرِ الآيَاتِ »(رواه البيهقي).

وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا (مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول) فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ " قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران: ١٦٩]. (رواه الترمذي). وقال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض

أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير).

ومن هذا الفضل : أن الشهيد ينجو من فتنة القبر (أي من سؤال الملكين)؛ فعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ رَجُلًا قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً». (رواه النسائي).

ومن هذا الفضل: ما تميز به الشهداء يوم القيامة بهيئة خاصة ، وبريح طيبة تنبعث من أجسادهم تتطاول لها الأعناق إجلالاً واحترامًا وتقديرا ومهابة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « لَا يُكْلَمُ (أي لا يُجرح) أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ». (رواه البخاري).

ومن هذا الفضل: ما منحه الله ـعز وجلـ للشهيد بشفاعةٍ مخصوصةٍ له في أهل بيته ، فعن المقدام بن معد يكرب (رضي الله عنه) أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ (أي في أول دَفقة دمٍ) ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"(رواه الترمذي).

ومن هذا الفضل: أن الشهيد في سبيل الله مع أول زمرة تدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فعن عَبْد اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (إِنّ أَوّلَ ثُلّةٍ تَدْخُلُ الْجَنّةَ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الّذِينَ تُتّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ لَهُ حَتّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنّ اللّهَ تَعَالَى يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنّةَ ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَرِيّهَا ، فَيَقُولُ : أَيْنَ عِبَادِيَ الّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ، وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ، ادْخُلُوا الْجَنّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ ، فَتَأْتِي الْمَلائِكَةُ ، فَيَقُولُونَ : رَبّنَا نَحْنُ نُسَبّحُ لَكَ اللّيْلَ وَالنّهَارَ ، وَنُقَدّسُ لَكَ ، مَنْ هَؤُلاءِ الّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟ فَيَقُولُ الرّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَؤُلاءِ الّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ مِنْ كُلّ بَابٍ " سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ") (رواه الحاكم).

وهذا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، مما أعده الله – عز وجل – للشهداء في دار كرامته ، وكان من ثمرة هذه الكرامات الربانية للشهداء ما أعد الله لهم من الجزاء فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن لا يتخلف عن سرية تغزو في سبيل الله ، وما منعه من الخروج في كل سرية إلا خشية أن يشق على أصحابه ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن يقتل شهيدا في سبيل الله مرات متعددة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ" (رواه البخاري).

والشهيد في الآخرة بعد أن يرى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم من المولى الكريم يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال شرف وكرامة القتل في سبيل الله عدة مرات ، فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شيء غَيْرُ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ "(رواه مسلم).

فهنيئا لشهداء ملحمة العبور الخالدة ، أولئك الذين ارتوت بدمائهم الزكية أرضُ مصرَ الطاهرة ، ولنسأل الله الشهادة بصدق حتى يكتب الله لنا أجر الشهداء ، فإن مَن سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازلَ الشهداء ، وإن مات على فراشه .

وهنيئا لشعب مصر بجنوده الأبطال الذين اعتصموا بحبل الله تعالى وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واستطاعوا بعزيمة قوية ويقين ثابت راسخ أن يعبروا ببلدنا الحبيبة مصر إلى بر الأمان ، فقد صمدوا في مواجهة التطرف والإرهاب ، وجنبوا مصرنا الغالية الويلات التي يشهدها كثير من دول المنطقة ، وسيستمر هذا الصمود حتى ندحض الإرهاب الأسود ونقضي عليه ، ونريح منطقتنا والعالم كله من شره بإذن الله تعالى ، ثم إن علينا دورًا آخر لا يقل أهمية عن مواجهة الإرهاب وهو الانطلاق والعبور إلى برِّ التنمية والرخاء ، والعمل والإنتاج ، لنثبت للدنيا كلها أن من عبروا خط بارليف الحصين واقتحموا حصون النيران في أكتوبر ١٩٧٣ قادرون على اقتحام كل الصعاب في سبيل تحقيق الأمن والأمان والتنمية والرخاء بإذن الله تعالى .